

من صحابة الرسول

المجموعة الأولى

١١

أسامة

بن زيد

فانيس محمد عزت

من صحابة الرسول

المجموعة الأولى ١١

أسامة بن زيد

بقلم

نانيس محمد عزت

الناشر

مكتبة مصر

مكتبة مكتبة
شأن كامل صدق - الفجالة
٥٩٠٨٩٢٠ ت

أسامة بن زيد

قام أفراد الأسرة برحلة قصيرة إلى حدائق حُلوان ،
وتمتعوا بالجوِّ الصَّحو ، والشَّمسِ الدَّافئة ، والهواءِ
العليل ، واكتملت سعادتهم باجتماع شملهم ، فنادراً
ما يجتمعون ، إمَّا لكثرة مشاغِلهم ، أو للعمل ، أو
لإستذكارِ الدُّروس .

وفي أثناء انهماكهم في اللعب ، أذن المؤذن لصلاة
الظُّهر ، فقال جدُّهم : قد وجبت الصلاة ، فليتوضَّأ
كلُّ منَّا لنُصلِّي الظُّهرَ جماعةً ، وبعد أداء الصلاة ،
تستأنفون لعبكم ولهواكم .

قال عادل : أرجو أن ننتظر يا جدِّي خمس دقائق
فقط ، فالمباراة أوشكت أن تنتهى .

قال عمُّهم : لا انتظار فالصلاة قبل أى شىء آخر ،
وبعد الصلاة ! افعلوا ما شئتم . إنَّ أفضل وقتٍ للصلاة

فى أوّل وَقْتِهَا ، أى بعدَ الأذانِ مُباشرةً .

وبعدَ أن توضحُوا جَمِيعًا قالَ جَدُّهُم . فلتؤمُّنا فى
الصَّلَاةِ أَنْتَ يا سامح . فاستعجبوا كُلُّهُم ، فسامحُ غلامٌ
لم يتعدَّ العاشرةَ من عُمرِهِ ، فكيفَ يؤمُّ من هُم أَكْبَرُ مِنْهُ
سِنًا ؟

قالَ جَدُّهُم : إِنَّ سامحًا أَكثَرُنا حِفْظًا لِلْقُرْآنِ ، فقد
أَتَمَّ بِفَضْلِ اللَّهِ حِفْظَ الْمُصْحَفِ كُلِّهِ .

وأذنَ عَمَّهُم لإقامةِ الصَّلَاةِ . وبعدَ أن انتهوا من أداءِ
الصَّلَاةِ قالَ عَمَّهُم : ذكّرني مَوْقِفُ سامحِ هذا ، بمَوْقِفِ
مُشابهِهِ لَهُ ، حَدَثَ فى أَيَّامِ الإسلامِ الأوّلَى لأحدِ فِتْيَانِ
المُسلِمِينَ ، هُوَ أُسامَةُ بْنُ زَيْدٍ . فقد أَمَرَهُ الرَّسُولُ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، على جَيْشِ المُسلِمِينَ المُتَّجِهَةِ إلى حَرْبِ
الرُّومِ ، وكانَ فَتًى تَحْتَ إِمْرَتِهِ كِبَارُ الصَّحَابَةِ مِنْ
المُهاجِرِينَ والأَنْصارِ .

تَعَجَّبَ مُحَمَّدٌ وَسَأَلَ : أَحَدَثَ هَذَا حَقًّا يَا عَمِّي ؟
قَالَ عَمُّهُ : وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ هُوَ الْبَلَاءُ الْعَظِيمُ الَّذِي
أَبْلَاهُ جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ ، وَالْإِنْتِصَارَاتُ الْبَاهِرَةُ الَّتِي
حَقَّقَهَا .

قَالَ سَامِحٌ : هَلَّا قَصَصْتَ عَلَيْنَا قِصَّةَ هَذِهِ الْحَرْبِ يَا
عَمِّي !

قَالَ جَدُّهُمْ مُدَاعِبًا : وَالْمُبَارَاةُ يَا سَامِحُ ؟
هَتَفَ الْأَوْلَادُ جَمِيعًا : الْقِصَّةُ أَوَّلًا يَا جَدِّي ، نُرِيدُ
أَنْ نَسْمَعَ قِصَّةَ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ .

قَالَ عَمُّهُمْ : كَانَ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ أَحَدَ أَبْنَاءِ الْإِسْلَامِ
الَّذِينَ وُلِدُوا فِي عَهْدِهِ ، وَلَمْ يُدْرِكُوا شَيْئًا مِنْ ظُلَامِ
الْجَاهِلِيَّةِ ، وَكَانَ أَبُوهُ هُوَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ، مَوْلَى الرَّسُولِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَيْ عَبْدُهُ الْمُعْتَقُ الَّذِي أَهْدَتْهُ إِلَيْهِ
زَوْجَتُهُ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ ، وَكَانَتْ أُمُّهُ هِيَ أُمُ أَيْمَنَ ، مَوْلَاهُ

رَسُولِ اللَّهِ وَحَاضِنَتُهُ بَعْدَ وَفَاةِ أُمِّهِ السَّيِّدَةِ آمِنَةً ، فَهُوَ
ابْنُ مُسْلِمَيْنِ كَرِيمَيْنِ مِنْ أَوَائِلِ الْمُسْلِمِينَ سَبَقًا إِلَى
الْإِسْلَامِ ، وَمِنْ أَكْثَرِهِمْ وَلَاءٌ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، وَأَقْرَبِهِمْ إِلَيْهِ . وَقَدْ نَشَأَ أُسَامَةُ نَشْأَةً دِينِيَّةً ،
فَحَفِظَ أَجْزَاءَ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَأَدْرَكَ كُلَّ مَا يُحْضَرُ
عَلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ ، وَعِبَادَةِ اللَّهِ حَقَّ عِبَادَتِهِ .

وَقَدْ أَحَبَّ أُسَامَةُ الْجِهَادَ مِنْذُ نُعُومَةِ أَظْفَارِهِ ، وَأَرَادَ
الْخُرُوجَ إِلَيْهِ يَوْمَ بَدْرَ ، وَلَكِنَّ الْيَدِيهِ مَنَعَاهُ مِنْهُ لِصِغَرِ
سِنِّهِ . وَلَكِنَّهُمَا لَمْ يَسْتَطِيعَا أَنْ يَرُدَّاهُ عَنْ عَزْمِهِ عَلَى
الْجِهَادِ يَوْمَ أُحُدَ ، فَقَدْ أَصْرَّ عَلَى الْخُرُوجِ إِلَيْهِ ، وَكَانَ
عُمُرُهُ آنَ ذَاكَ أَحَدَ عَشَرَ عَامًا ، وَلَكِنَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ
مَنَعُوهُ إِشْفَاقًا عَلَيْهِ لِصِغَرِ سِنِّهِ .

قَالَ عَادِلٌ : أَرَادَ الْخُرُوجَ إِلَى الْقِتَالِ وَهُوَ فِي الْحَادِيَةِ
عَشْرَةِ مِنْ عُمُرِهِ ؟ أَلَمْ يَخْشَ أَهْوَالَ الْحَرْبِ ؟

قالَ عمُّه : كَانَ هَدَفُ الْمُسْلِمِينَ الْأَوَائِلِ الْوَحِيدَ ،
هُوَ نَشْرُ الْإِسْلَامِ . وَلَا تَنْسَ يَا عَادِلُ أَنَّ أُسَامَةَ نَشَأَ فِي
بَيْتِ دِعَامَتِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَإِعْلَاءُ كَلِمَةِ الدِّينِ .
وَعِنْدَمَا اسْتَشْهَدَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ أَبُو أُسَامَةَ عَلَى
حُدُودِ الشَّامِ ، وَهُوَ يُحَارِبُ الرُّومَ فِي غَزْوَةِ مُوتَةَ ،
تَمَنَّى أُسَامَةُ فِي قَرَارَةِ نَفْسِهِ أَنْ تُتَاحَ لَهُ الْفُرْصَةُ لِيُحَارِبَ
الرُّومَ ، لِيُثَارَ لِمَقْتَلِ أَبِيهِ ، وَلِشَهِدَاءِ غَزْوَةِ مُوتَةَ جَمِيعًا .
وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَدِيدَ الْحُبِّ
لأُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ، وَكَانَ يُطْلَقُ عَلَيْهِ « الْحَبُّ بْنُ الْحَبِّ »
وظَهَرَتْ مَنْزِلَتُهُ عِنْدَهُ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ ، فَقَدْ دَخَلَ النَّبِيُّ
مَكَّةَ عَلَى ظَهَرٍ دَابَّتِهِ ، وَأُسَامَةُ يَرْكَبُ خَلْفَهُ . كَمَا
ظَهَرَتْ مَكَانَتُهُ أَوْضَحَ مَا تَكُونُ عِنْدَمَا دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُصَلِّيَ فِي دَاخِلِ الْكَعْبَةِ ، بَعْدَ فَتْحِ
مَكَّةَ ، وَلَمْ يَصْطَحِبْ مَعَهُ إِلَّا بِلالاً وَأُسَامَةَ .

قال سامح : ألهذه الدرَجَة كانت منزِلَتُه عندَ رَسولِ
الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إذ فضَّلَهُ على جَمِيعِ
الصَّحابة ، وفيهم من هو أكبرُ منه سِنًا ومكانة :
قالَ عمُّه : وقد قالَ عنه النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وسَلَّمَ : (إِنَّ أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ ،
وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَكُونَ مِنْ صَالِحِيكُمْ ، فَاسْتَوْصُوا
بِهِ خَيْرًا) .

وجاءت غزوة حُنين ، واغترَّ المسلمون بكثرةِ
عددهم وعُدَّتِهِمْ حتَّى إنَّهم قالوا : لن نُغلبَ اليومَ
عن قِلةٍ . وهُنا كانَ لا بدَّ من درسٍ إلهيٍّ ليتعلَّموا
ويعلَّموا أنما النَّصرُ من عندِ الله ، فقد نصرَهُم
اللهُ يومَ بدرٍ وهُم قِلَّةٌ مُستضعِفَةٌ .

قالَ مُحَمَّدٌ : وماذا كانَ ردُّ فعلِ النَّبِيِّ صَلَّى
اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟

قالَ عمُّه : لقد وَقَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، يُنَادِي بِأَعْلَى صَوْتِهِ : (إِلَى أَيْنَ أَيُّهَا
النَّاسُ؟ هَلُمُّوا إِلَيَّ .. أَنَا رَسُولُ اللَّهِ .. أَنَا مُحَمَّدُ
ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ .. أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ .. أَنَا ابْنُ عَبْدِ
الْمُطَّلِبِ) .

وتَلَفَّتِ النَّبِيُّ حَوْلَهُ فوجدَ أَحَدَ عَشَرَ مُؤْمِنًا
قَرَرُوا أَلَّا يَتَخَلَّوْا عَنْهُ فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ ، وَكَانَ
أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ أَحَدَ هَؤُلَاءِ .

وكانتْ غَزْوَةُ حُنَيْنٍ هِيَ أَوَّلَ غَزْوَةٍ يَخْرُجُ فِيهَا
أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، وَكَانَ عُمُرُهُ وَقْتِ ذَلِكَ سِتَّةَ عَشَرَ عَامًا . وَقَدْ
شَاءَتِ الْأَقْدَارُ أَنْ تَكُونَ امْتِحَانًا قَاسِيًا لِلْمُسْلِمِينَ ،
وَلَكِنَّ أُسَامَةَ كَانَ كَفًّا لِهَذَا الْامْتِحَانِ ، مِمَّا أَهَّلَهُ
فِيمَا بَعْدُ لِنَيْلِ شَرَفِ نَيْلِ إِمَارَةِ الْمُسْلِمِينَ فِي غَزْوَةِ

الرَّومَ . وفيها جاءت اللَّحْظَةُ الحَاسِمَةُ ، الَّتِي
طالَمَا تَمَنَّاها أُسامَةُ لِلثَّارِ لِمَقْتَلِ أَبِيهِ .

فقد قَرَّرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِرْسَالَ
جَيْشٍ لَغَزْوِ الرُّومِ ، وَعَزَمَ أُسامَةُ أَنْ يَكُونَ أَوَّلَ
الخارجين فِي هَذَا الجَيْشِ . وَلَكِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قد أَعَدَّ لَهُ مُفاجَأَةً لَمْ يَكُنْ يَتَوَقَّعُها ،
فقد أَمَرَهُ هُوَ نَفْسَهُ عَلَى ذَلِكَ الجَيْشِ ، وَلَمَّا يَتَعَدَّى
العِشْرِينَ مِنْ عُمْرِهِ . أَمَرَهُ عَلَى جَيْشٍ يَضُمُّ صَفْوَةَ
المُسْلِمِينَ مِنْ مُهاجِرِينَ وَأَنْصارٍ ، فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ
الصَّديقُ ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ .

وخرجَ الجَيْشُ وَعَسْكَرَ فِي « الْجَرْفِ » ، وَلَكِنْ
وَرَدَتْ الْأَنْبَاءُ بِمَرَضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَاشْتِدَادِ الْمَرَضِ عَلَيْهِ . وَخَشِيَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَغِلَّ
الْمُنافِقُونَ فُرْصَةَ مَرَضِهِ ، وَيَصْرِفُوا الْجَيْشَ عَنْ

المُضَيَّ إِلَى هَدَفِهِ ، فَأَمَرَ أَهْلَهُ أَنْ يَصُبُّوا سَبْعَ قِرْبٍ
 مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ فَوْقَ جِسْمِهِ ، فَعِنْدَمَا خَفَّتْ
 حَرَارَتُهُ ، خَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَخَطَبَ فِي النَّاسِ
 خُطْبَةَ الْوَدَاعِ ، قَالَ فِيهَا : (أَيُّهَا النَّاسُ أَنْفِذُوا
 بَعَثَ أُسَامَةَ ، فَلَعَمْرِي لَنْ قُلْتُمْ فِي إِمَارَتِهِ ، لَقَدْ
 قُلْتُمْ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ ، وَإِنَّهُ لَخَلِيقٌ بِالْإِمَارَةِ ،
 وَإِنْ كَانَ أَبُوهُ لَخَلِيقًا لَهَا) .

وَمَاتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَازْدَادَتْ
 الْفِتْنُ وَازْدَادَ الْجِدَالُ حَوْلَ جَيْشِ أُسَامَةَ ، وَلَكِنْ أَبَا
 بَكْرٍ الصِّدِّيقُ أَبِي أَنْ يُخَالَفَ أَمْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

سَأَلَ عَادِلٌ : وَهَلْ بَعَثَ الْجَيْشَ رَغْمَ الْقَلَاقِلِ
 وَالْفِتَنِ الَّتِي حَدَثَتْ بِوَفَاةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ ، وَرَغْمَ ازْدِيَادِ أَعْدَادِ الْمُرْتَدِّينَ ؟

قالَ عَمَّهُ : قالَ أبو بكرٍ لمعارضيه : والذي نفسُ
أبي بكرٍ بيده ، لو ظننتُ أنَّ السَّبَّاعَ تَخْطِفُنِي
لأنفذَ بَعثَ أسامةَ ، كما أمرَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عليه وسلَّم ، ولو لم يبقَ غيري في القرى لأنفذته .
واستأذنَ أبو بكرُ أسامةَ الأميرَ على الجيشِ ، أن
يُبقَى لَهُ غَمْرُ بنُ الخطَّابِ ليعاونه في عَمَلِهِ في
المدينة . وهكذا خرجَ الجيشُ وحانتَ الفرصةُ
لأسامةَ كاملةً ، للنَّيلِ مِمَّنْ فتكوا بأبيه .

وأبلى جيشُ أسامةَ بلاءَ حسناً ، فقتلَ الكثيرَ من
المُشْرِكِينَ ، وأسرَ الكثيرينَ منهم ، وكانَ شعارُهم
يَوْمَئِذٍ « يا مَنْصُورُ أُمّتِ » .

وعادَ الجيشُ إلى المدينة بعدَ أربعينَ يوماً أو
سبعينَ ، فكلَّلاً بالنَّصرِ ، ولم يكِدْ يَفْقِدُ جُنْدِيًّا
واحداً .

قال مُحَمَّد : لم يفقد جُندِيًّا واحِداً ، أهذا
مَعْقُول ؟

قال عَمُّه : نعم ، وكانَ لَتِلْكَ الغَزْوَةِ دَوِيٌّ
هائل ، بَيْنَ القَبَائِلِ ، فَعَرَفَ الجَمِيعُ أَنَّ المُسْلِمِينَ
قُوَّةٌ لَا يُسْتَهَانُ بِهَا ، وَأَنَّهُمْ قُوَّةٌ لَا تُقْهَرُ ، فَقَدْ
هَاجَمُوا الرُّومَ فِي عَقْرِ دَارِهِمْ وَانْتَصَرُوا عَلَيْهِمْ .
وَصَبَّاحَ عَوْدَتِهِ مِنَ المَعْرَكَةِ ، ذَهَبَ أُسَامَةُ بْنُ
زَيْدٍ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، وَأَبْدَى اسْتِعْدَادَهُ
لِلْمُشَارَكَةِ فِي قَمْعِ المُرْتَدِّينَ عَنِ الإِسْلَامِ .

قال مُحَمَّد : لَا بُدَّ أَنْ كَانَتْ لِأُسَامَةَ مَنَزَلَةٌ
كَبِيرَةٌ ، عِنْدَ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ : قَالَ عَمُّه : كَانَتْ
لَهُ مَنَزَلَةٌ كَبِيرَةٌ عِنْدَ الجَمِيعِ . فَعِنْدَمَا كَانَ عُمرُ بْنُ
الْخَطَّابِ فِي أَحَدِ الأَيَّامِ يُقَسِّمُ الأَنْصِبَةَ ، وَيُعْطِي
كُلَّ فَرْدٍ نَصِيبَهُ مِنْ بَيْتِ مَالِ المُسْلِمِينَ ، أُعْطِيَ

أُسَامَةَ ضِعْفَ مَا أُعْطِيَ وَلَدَهُ عَبْدُ اللَّهِ ، فَسَأَلَهُ عَبْدُ
اللَّهِ عَنِ السَّبَبِ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : إِنَّ أُسَامَةَ كَانَ
أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْكَ ،
وَكَانَ أَبُوهُ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ مِنْ أَبِيكَ .

وَاعْتَكَفَ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ مِنْ حَيَاةِ الْجِهَادِ فِي
الْمَدِينَةِ ، وَذَهَبَ لِيَقْضِيَ مَا بَقِيَ مِنْ عُمْرِهِ فِي بِلَادِ
الشَّامِ . وَعِنْدَمَا أَدْرَكَتْهُ الشَّيْخُوخَةُ ، وَدَبَّ فِي
جِسْمِهِ الضَّعْفُ ، أَحْسَسَ بِالْحَيْنِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَعَادَ
لِزِيَارَتِهَا . وَعِنْدَ « الْجَرْفِ » اشْتَدَّ بِهِ الشَّوْقُ إِلَيْهَا
فَقَرَّرَ أَنْ يَمْكُثَ بِهَا حَتَّى وَاتَّتْهُ الْمَنِيَّةُ فَمَاتَ فِي
السَّنَةِ الرَّابِعَةِ وَالْخَمْسِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ .

قَالَ سَامِحٌ : كَانَ أُسَامَةُ يَا عَمِّي بَطْلًا بِكُلِّ
مَعْنَى الْكَلِمَةِ ، فَقَدْ عَبَّرَ بِالْمُسْلِمِينَ فِتْرَةَ حَرَجَةٍ ،
بَعْدَ وَفَاةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعَرَفَ

الجميع أن المسلمين قوة لا يُستهان بها .
قال جدّه : أَعْجَبْتُكُمْ قِصَّةُ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ
يا أولادى ؟

قالوا بصوت واحد : نعم ، إنها قِصَّةُ شائقة ،
مليئة بالبطولات .

وسألهم جدّهم : وماذا تعلّمتم منها ؟
قال سامح : تعلّمتُ منها أن قيمة الإنسان
الحقيقية ، ليست بطول عمره ، وإنما بما يُقدّمه
فيها من عمل .

وقال مُحمّد : وتعلّمتُ أنا منها الشجاعة
والإقدام والبذل فى سبيل الله .

وقال عادِل : أما أنا فقد عَزَمْتُ على حفظ
القرآن الكريم ، ومداومة قراءته ، لأكون مثل
سامح .

قالَ عَمُّهُ : فِكْرَةٌ جَمِيلَةٌ ! اَتَعْلَمُونَ لَوْ اَنَّ كُلَّ
مِنْكُمْ وَاظَبَ عَلَى حِفْظِ ثَلَاثِ آيَاتٍ فَقَطْ مِنْ
الْقُرْآنِ كُلِّ يَوْمٍ ، لَأَتَمَّ حِفْظَ الْقُرْآنِ كُلِّهِ فِي وَقْتٍ
قَرِيبٍ ، وَأَنَا دَائِمًا عَلَى اسْتِعْدَادٍ مُعَاوَنَتِكُمْ فِي
حِفْظِكُمْ .